جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

مُحاضرة دراسات أدبية قديمة: مرحلة الماجستير

مُدرسة المادة: أ. د. أسماء صابر جاسم

عِنوان المُحاضرة: موازنة الاغراض بين القديم والجديد في العصر العباسي

المحاضرة الثالثة

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

أسباب ودوافع تطورها

أولا : أثر مدنية الفرس و حضارتهم القديمة:

تعددت في الدولة العباسية العصبيات و الأمم و الشعوب و الملل و النحل و الآراء ، وضعفت العصبية العربية ، واندفع العرب إلى الشعوب المغلوبة يترجمون حضاراتهم و علومهم بلا أنفة ولا كبرياء . انتصر العرب على الفرس عسكريا و انتصر الفرس على العرب أدبيا بعد أن أعلن الخلفاء العباسيون ولاءهم الرسمي للفرس على لسان أبي جعفر المنصور.

وانتصر التطور ، فكثر العمران ، وانتشر العلم لكثرة العمران ، وظهر جيل من الموالي سموا بالأبناء أو الأحرار جمعوا بين ثقافة العرب و ثقافة الأمم المغلوبة ، وساهموا في تقدم كثير من العلوم و الفنون منها الشعر. استطاع هؤلاء المولدون أو الشعراء من الموالي أن ينقلوا الشعر العربي من البداوة إلى الحضارة ، و أن يزودوه بمعان و أغراض جديدة لم يألفها العرب قبل العصر العباسي.

ثانيا : تضلع الخلفاء و الوزراء بالعلم و الأدب و تشجيعهم لهما:

حيث أن الخلفاء كانوا يعطون العلم و الأدب الاهتمام الأكبر ويعلون من قدرها و قدر أصحابها ويفرقون بين الغث و السمين مما دفع بالشعراء لبذل الجهد لتقديم الأفضل و الأروع دوما.

ثالثا : التكسب بالشعر:

صار التكسب ضاربا في الدولة العباسية حيث لقي تشجيع من طرف الخلفاء وذلك بتوفير الجوائز والعطايا.

رابعا : التنافس في الوصول إلى المناصب الوزارية و الإدارية

ارتقى بعض الشعراء بشعرهم إلى مرتبة الوزارة وولاية النواحي كمسلم بن الوليد، و أبي تمام ومحمد بن عبد الملك الزيات ( وزيد المعتصم و الواثق و المتوكل) وابن زيدون و إبراهيم الصولي، حتى طمع بعضهم أن ينال بشعره الملك كالمتنبي وابن عمار الأندلسي.

خامسا: زيادة التحرر الاجتماعي:

وقد أدى هذا العامل إلى انتشار حركة المجون واللهو في بغداد وغيرها من المدن العراقية كالكوفة والبصرة , مما ساعد على انتشارها دور القيان في هذه المدن إذ رادها كثير من شعراء العصر يلتمسون فيها اللذة والمتاع , وينشئون في جواريها أشعارهم الغزلية الماجنة وقد دفع هذا الجانب ازدهار موجة الغناء الجديد ويبدو أن الحرية الفردية والتسامح الاجتماعي في هذا العصر شجعا حركات منحرفة متطرفة على أن تزيد من نشاطها وتوسع من طموحاتها , ومن أشهر هذه الحركات حركة الشعوبية والزندقة. (١(

سادسا : جهود علماء اللغة:

لعلماء اللغة الفضل في تحول السليقة العربية السليمة من البادية إلى شعراء الحضر، فقد جمعوا لهم اللغة والشعر الجاهلي والإسلامي، ووضعوا لهم مقاييسها وضعا دقيقا ، وظلوا طوال العصر يبعثون فيهم الإيمان بأن الشعر القديم هو القدوة المثلى، وكان من هؤلاء اللغويين شعراء بارعون بادروا إلى الاحتذاء بهذه القدوة منهم حماد الراوية، و الخليل بن أحمد وخلف الأحمر و الأصمعي.

ومعروف أن أهم مجموعتين للشعر القديم ألفتا في ذلك العصر هما المفضليّات للمفضل الضبّي الكوفي والأصمعيات للأصمعي البصري، وهما تزخران بالغريب ، ولا تبالغ إذا قلنا أن اللغويين لم يكادوا يتركون قصيدة ولا مقطوعة جيدة لشاعر جاهلي أو إسلامي إلا سجلوها ودونوها وفسروها وشرحوها وبذلك انقادت اللغة وسلست لمعاصريهم من الشعراء وغير الشعراء.

وبذلك أصبح اللغويون سدنة الشعر في ذلك العصر وحراسه فمن نوهوا به طار اسمه ومن لوحوا في وجهه خمل وغدا نسيا منسيا ، وثبت أن كثيرا من الشعراء يعرضون عليهم أشعارهم قبل إنشادها في المحافل العظام فان استحسنوها أنشدوها وان لم يستحسنوها ذهبوا يعاودون الكرة لصنع قصائد جديدة آملين أن تظفر باستحسانهم.

الأغراض الشعرية المستحدثة في العصر العباسي

اولا : المستجد من الأغراض الشعرية

رأينا في موضوعات الشعر القديمة تجددا واسعا في معانيها, فقد أخذت تعرض بصورة أدق وأعمق, وأخذت تدخل عليها إضافات كثيرة, ولم يكتفي الشعراء بتوسيع دائرة الموضوعات القديمة بل استوحوا موضوعات جديدة استجابة لعوامل التطور التي غيرت صورة المجتمع في تلك الفترة , ومن هذه الموضوعات:

-١شعر الصداقة:

اهتم الشعراء في القرن الثاني اهتماما ملحوظا بالشعر الذي يتحدث عن الصداقة باعتبارها صورة من صور العلاقات الإنسانية النبيلة , وأفاضوا في الحديث عن الصداقة الحقيقية القائمة على الإخلاص , والصداقة الزائفة التي تنطلق من مصلحة مادية ولا تلبث أن تنكشف الأقنعة، كما حرصوا على التحذير من صديق السوء أو الصداقة الزائفة ، كقول حماد عجرد:

كم من أخ لك لست تنكره * مادمت من دنياك في يسر
متصنع لك في مودته * ياقاك بالترحيب والبشر
يطري الوفاء وذا الوفاء ويد ***بحي الغدر مجتهدا وذا الغدر

إن حماد عجرد يحذر من الصديق الزائف الذي يتصنع في مودته ويدور مع النعماء حيث تدور ،ولا يصاحب إلا لمصلحة أو حاجة فهو يعشق صاحب المال و الجاه والسلطة ويكره المقل أو الفقير ،فالمعيار عنده هو المصلحة المادية لا غير ،و على المرء أن ينتبه لهذا النوع من البشر أن يحذر الاغترار بصنيعهم ،و ألا يخلطهم بالأوفياء ،ففرق كبير بين الذهب والنحاس.

كما حذرنا أبو العتاهية من الصديق الأحمق الذي يؤذي صاحبه بحمقه ويتمادى ولا يأبه بنصح العتاب و يقول:

احذر الأحمق أن تصحبه * إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب * زعزعته الريح يوما فانحرف

و ينطلق بشار في مفهومه للصداقة من نظرة واقعية ،فهو يدعو إلى أن يأخذ المرء صديقه على علاته وألا يعاتبه في كل صغيرة وكبيرة ،فقد ينصرف عنه الأصدقاء كلما أسرف في عتابهم على المرء أن يدرك أن الصديق إنسان يصيب أو يخطئ ،يقول:

إذا كنت في كل الذنوب معاتبا ***صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحد ا أوصل أخاك فإنه * مفارق ذنب مرة و مجانبة

إن الإكثار من شعر الصداقة يعكس مظهرا من التغير الاجتماعي في القرن الثاني هجري ن فقد ذابت العصبيات القبلية وانفتح المجتمع العربي على أجناس مختلفة من فرس وروم وهنود وغيرهم وكانت الدعوة للصداقة تعبيرا عن الرغبة في تجاوز الخلافات العصبية والمذهبية ،ولا تنسى كذلك الدور الثقافي الذي أداه ابن المقفع في هذا الجانب: فقد نقل عن الفارسية كتابي الأدب الكبير والأدب الصغير و كلاهما يحتفي بالصداقة ويعلى من قيمتها ويحض عليها،و قد عقدت صداقات كثيرة بين طوائف الشعراء مثل عصبة المجان ، ولم تمض العلاقات على وتيرة واحدة ،وقد عبر الشعر عن الصداقة في جوانبها المختلفة سلبا وإيجابا.

-٢الشعر التعليمي:

وهو فن شعري جديد استحدثه الشعراء في القرن الثاني هجري استجابة لازدهار الحركة العلمية وتطور الحياة العقلية ورقيها، فنظم بعض الشعراء شعرا يهدف إلى تسهيل حفظ العلوم المختلفة لأن الإيقاع الشعري يسعف في الحفظ , وكما يقول الجاحظ , "فإن حفظ الشعر أهون على النفس , وإذا حفظ كان أعلق وأثبت , وكان شاهدا , وإن احتيج إلى ضرب المثل كان مثلا."

وقد نظم الشعراء شعرا تعليميا في مختلف العلوم كالفقه والنحو والتاريخ والسير والعلوم الطبيعية, ويعد أبان بن عبد الحميد اللاحقي رائد هذا الفن الشعري الجديد , فقد ضرب فيه بسهم وافر ونظم في العلوم مختلفة "فهو إلى جانب نظمه في الفرائض قد نظم قصائد أخرى تعليمية في تاريخ الفرس , منا ما هو في سيرة أرد شير . ومنها ما هو في سيرة أنوشروان , كما نظم قصائد في العقائد الفارسية والهندية ".

و لأبان قصيدة تعليمية في مبدأ الخلق ضمنها شيئا من المنطق (٢).ومن آيات براعته في هذا الفن أنه نظم كتاب كليلة ودمنة بما يتضمنه من قصص على ألسنة الحيوان في أربعة عشر ألف بيت.

و قد استهل أبان هذه المنظومة بقوله معرفا الكتاب:

هذا كتاب أدب ومحنه * وهو الذي يدعي كليلة ودمنة
فيه دلالات وفيه رشد ***وهو كتاب وضعته الهند

كما يحفى أبان باستخلاص العبرة المستهدفة من الحكاية ،كقوله في حكاية الأسد والثور:
و إن من كان دنئ النفس ***يرضى من الأرفع بـا لأخس
كمثل الكلب الشقي البائس * يفرح بالعظم العتيق اليابس
وقد تنوعت ضروب الشعر التعليمي التي طرقها ابان بن عبد الحميد ،فقد نظم الأحكام المتعلقة بالصوم والزكاة ،فقال عن الصوم:
هذا كتاب الصوم وهو جامع عن النبي ***لكل ما قامت به الشرائع
من ذلك المنزل في القران * فضلا على من كان ذا بيان
ولم يقتصر الشعر التعليمي على التعريف بالعلوم المختلفة بل تعدى ذلك فطمح على هدف الأهمية وهو النصح والإرشاد والوعظ والتهذيب ،و يمثل أبو العتاهية هذا الضرب فنقف على هذا الخطاب الوعظي فيقول:
ما انتفع المرء بمثل عقله * وخير ذخر المرء حسن فعله
أن الشباب و الفراغ والجدة * مفسدة للمرء أي مفيدة
و يمكن أن نعد من الشعر التعليمي ما نظمه الشعراء في التعريف بالمذاهب المختلفة ، و لعل اهم الشعراء المذهبين الذين اهتموا بهذه الناحية التعليمية في شعرهم السيد الحميري – فهو- كما يقول ابن المعتز –(لم يترك لعلى بن أبي طالب فضيلة إلا نقلها إلى الشعر ).
-٣شعر التصوف:
إذا كان الزهد ردة فعل انعكاسية لحياة الترف والمجون التي سادت العصر العباسي الأول ، فإن بذوره أورثت ظلالها في هذا العصر نظر لطغيان الخلفاء ،و الأمراء والقادة والطبقات العليا من الشعب ، و تفاخرهم بنعيم الدنيا الزائل حتى أنفقوا الملايين على القصور ،وضياعهم وجواريهم وشاع الفساد حتى أضحى غير مستنكر حتى في قصور الخلفاء ،فنهض بعض علماء الأمة ،يذكرون الناس بالجنة ونعيمها وثواب التائبين العابدين ،ومنهم إبراهيم بن إسحاق الحركي وكان من كبار المحدثين ،كان عاكف النفس ،زاهدا في مباذل الدنيا ،حتى أنه رد عطية الخليفة المعتصم ، فأرسل رسوله ثانية بالأموال ،و قال له :يسألك الخليفة ،أن تفرقها في جيرانك ،فقال له :عافاك الله ،هذا ما لم نشغل أنفسنا بجمعه ،فلا نشغلها بتفرقته ، قل لأمير المؤمنين ،إن تركتنا أقمنا وإلا تحولنا عن جوارك.
وظهرت نزعة التصوف منذ أواخر القرن الثاني الهجري ، عند إبراهيم بن الأدهم ،وشقيق البلخي ومعروف الكرخي.
وقد اختلف العلماء في مصادر الصوفية ،فالبعض يعزوها إلى اللباس الصوفي الخشن الذي اختارته الصوفية ، والبعض من الصفاء ،نسبة إلى أهل الصفة الذين انقطعوا للعبادة في عهد رسول الله (ﷺ ) ومن أعلم التصوف في هذا العصر ،الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٣٤ه(
وذو النون المصري (ت٢٤٥ه)وهو أول من نشر الصوفية في أرض النيل.
وكان السري السقطي ت(٢٥١) شيخ متصوف بغداد وإمامهم ،ومن جميل شعره في التصوف.
إذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لا تجيب المناديا
ويحاول متصوفة أواخر القرن الثالث الهجري صياغة أفكارهم و معتقداتهم شعرا فيه عاطفة وشوق وتضرع ،ومنهم سمنون أبو الحسين الخواص (ت٣٠٣)ودلف بن جحدر الشبلى (ت٣٣٤
ومن جميل ما قاله في التصوف

مضت الشبيبة والحبيبة فانبري ***دمعان في الأجفان يزدحمان
ما أنصفتني الحادثات رميتني * بمودعين وليس لي قلبان
-٤الشعر الفلسفي:
يعتبر أبو العلاء المعري شاعر فلسفة الحياة , وهو أول شاعر ينظم ديوانا كاملا في الفلسفة يدعى " اللزوميات " وفيه ملخص للمذاهب الفكرية السائدة في عصره.
فهو يرى أن السلطة المدنية فاسدة بسبب المكر والرشوة , والحكام أصحاب فوضى ويتبعون هواهم , ويحكمون الرعية بالظلم وينعمون بمالها وثمرة تعبها فيقول:
يسوسون الأمور بغير عقل * فينفذ أمرهم ويقال ساسه
فأف من الحياة وأف منّي * ومن زمن رئاسته خساسه

-٥الغزل بالمذكر (الغزل الشاذ:(

الغزل بالمذكر: هو فن جديد ساعد على ظهوره ضعف الوازع الديني واتخاذ الغلمان وامتلاكهم , وانتشر بادئ الأمر بين الموالي وكان هؤلاء من أبناء الفرس أم الروم ، يؤتى بهم عن طريق السبي أو غيره ويتعهد تجار مختصون بتعليمهم وتدريبهم وقد اعتبر بعض الناس هذه الظاهرة من المظاهر الحضارية وعلى كل الأحوال هو مظهر انحلال(٢) , لم يعرف العرب قبل النصف الثاني من القرن الهجري مثل هذا الميل إلى الغلمان كما عرف في الأمم السابقة،أي قبل اختلاطهم بالأمم الأجنبية.

ويعتبر أبو نواس من الشعراء المولدين الذين ورثوا دماء فارسية فتغزلوا بالغلمان وأسسوا هذا الفن حيث يقول:

يا من يقول الغواني * أحلى جنى و التزاما
خذ النساء ودع لي * مما يلدن غلاما

وقوله أيضا:

مالك تغضبْ * عليّ في غير مغضبْ
إن كنتُ تبت إلى * الله جئتني تتجنبْ
وقد حلفتُ يميناً ***مبرورة لا تكذّبْ

-٦الشعر الشعبي:

إن التطور الحقيقي الذي طرأ على الشعر في العصر العباسي هو ظهور اتجاه قوى يعبر عن طبقات المجتمع الكادحة ويجسد همومها وآلامها دون تزويق أو رياء , وبذلك تحرر الشعر من الطابع الرسمي الذي لازمه طويلا , فلم يعد قاصرا على ما ينشد في قصور الخلفاء أو بين العلماء واقترب من هموم الناس واستجاب لحاجاتهم العاطفية والاجتماعية , وكان طبيعيا أن يسلك الشعر هذه الدروب بعد التطور الاجتماعي الهائل الذي طرأ على المجتمع العباسي، فلم يمثل مجتمع النخبة أو الطبقة الواحدة بل أصبح يستوعب طبقات اجتماعية مختلفة الأجناس والطبائع كالمولدين والموالى والزنج وغيرهم , وقد عبر الشعراء المنتمون لهذه الطبقات البائسة عن همومهم ومآسيهم في غير تحرج , فكانت أصواتهم وهم يشكلون الفقر أشبه بصرخات قوية تدين المجتمع وتكشف عن الخلل الكامن فيه , فثمة طبقة قليلة تستمتع بملذات الحياة وتسرف في معيشتها غاية الإسراف في مقابل الطبقة الكادحة التي تمثل الأغلبية وهي تعاني شظف وقسوة الفاقة , وليس أدل على هذا الطابع الشعبي الذي بلغة الشعر من ظهور مقطوعات شعرية يستخدمها الشاعر الفقير في سؤال الناس واستجدائهم , ومن ذلك قول أبى فرعون الساسي:

يا إخوتي يا معشر الموالى * أنا ابنكم وأنتم أخوالي
هذا زبيلي وجرابي خال * والمال عال والدقيق غال